سينما

العائلة العربية كمعاينةٍ سينمائية للأوسع

تفكيكٌ درامي بتنويعات بصرية مختلفة

أفلام عربية جديدة تعاين أحوال عائلات في أكثر من مجتمع، بلُغة سينمائية تميل غالباً إلى براعة التوغّل بصرياً في وقائع العيش في الخراب

نديم جرجوره

أفلامٌ عربية عدّة، حديثة الإنتاج (2021)، تجعل عائلات عربية ركيزة درامية لمعاينة واقع واجتماع وبيئات، بعضها غارقٌ في حُروب متنوّعة، كالفساد والاقتتال الطائفي. المذهبي، والاحتلال الإسرائيلي أيضاً. المرض يُصيبُ فرداً، فتتبدّل أحوال وحالات وعلاقات. ثقل موت ابنٍ أو أمّ طاغ على أب أو ابن، فتُسرف العائلة في الانفكاك والتحلّل، ما يُتيح للكاميرا إمكانية توغّل درامي جمالي في نفس وانتكاساتٍ، كما في عيونٍ تُراقب وتحاكِم. العائلة سببٌ درامي لتفقّد معاناة أناسٍ وجماعاتٍ. عائلاتٌ غير مكتملة أحياناً بسبب موتٍ أو هجرة أو خروج عليها ومنها، تواجه مصائب أقدارٍ تحلّ على فردٍ فيها، فتتفشّى المصائب في أرواح الجميع، ونفوسهم وأجسادهم. عائلاتٌ أخرى تحاول لملمة بقاياها، المنفلشة على اجتماعٍ وعلاقاتٍ وانفعالاتٍ، في بيئاتٍ ضاغطة، إنْ لم تكن قاتلة. خارج العائلة، بأشكاله المتفرّقة، سببٌ؛ لكنّ التفكّك حاصلٌ بسبب ما في داخلها، أو بعضه على الأقلّ، أيضاً: سوء تفاهم؛ خضوع (وإنْ يكن مؤقّتاً) للرجل، أباً وزوجاً، قبل انفجار محتّم ومتوقّع؛ مرضٌ يتسلّل إلى جسدٍ، قبل تمدّده في آخرين، بأرواحهم ونفوسهم.

أفلامٌ كهذه جزءٌ من مشهدٍ، يؤكّد مجدّداً أنّ في السينما العربية حديثة الإنتاج غلياناً درامياً وجمالياً وفنياً، جديراً بمتابعة وانتباهٍ. قسوة اليوميّ مشتركٌ أوّل بين نصوص، تستلّ حكاياتها وحالات ناسها من ذاك الواقع، وقسوته. بعض الإنتاجات يُعرض في مسابقة الأفلام الطويلة، في الدورة الـ12 (4 ـ 9 مايو/أيار 2022) لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)»، بعد جولات مختلفة في مهرجانات عدّة. الاشتغالات السينمائية غير متشابهةٍ في أنماط معاينتها بيئات وأفراداً، وفي سرد تفاصيل، وتصوير حالات.

الموضوع مهمّ (أزمة النفايات اللبنانية، وما يُحيط بها من فسادٍ سياسي ومالي، وغياب مواجهة شعبية فاعلة)، لكنّ المعالجة المتكاملة ناقصةٌ («كوستا برافا» للّبنانية منية عقل)، من دون أنْ يحول نقصانها دون أهمية العنوان الأساسي للحبكة. العائلة المُكوَّنة من زوجين (صالح بكري ونادين لبكي) وابنتيهما (سيانا وجيانا رستم تؤدّيان دور الابنة الصغرى، ونادیا شربل تؤدّي دور الابنة الكبرى) والجدّة والدة الأب (ليليان شكري خوري)، ترفض الانصياع لواقع مُشبع بفسادٍ وسطوة سلطات غير آبهةٍ بأحدٍ أو بشيء، ولجوء أفرادها (العائلة) إلى ريفٍ يبتعد عن المدينة، نوعٌ من هروبٍ واستسلام لمشيئة القوّة والبطش، قبل أنْ تُلاحقهم النفايات إلى آخر بؤرة نقاءٍ في بلدٍ منهار. النزاع اليومي يكشف، تدريجياً، سيرة العائلة، وصولاً إلى تمزّقاتٍ داخلية، وإنْ تكن واضحة، فالنهاية ملتبسةٌ.

نزاع طائفي . مذهبيّ تعيشه بغداد، شتاء 2006، تختاره العراقية ميسون الباجه جي نواة حكايةٍ، تنفتح على مرارات وعنفٍ وانكساراتٍ وخيباتٍ، وسعي إلى خلاص غير مؤكّد، وبقاءٍ محفوف بخطر موتٍ يتجوّل بين الناس والأبنية. «كلشي ماكو» يلتقط أحوال ذاك النزاع، بل نتائجه اليومية على أفرادٍ، يعيشون قهراً، فيحاولون تأقلماً، ويريدون ضحكاً يشوبه ألمٌ وخيبات. أسئلة يطرحها الجميع بشكلٍ غير مباشر، أبرزها ثنائية الهجرة. البقاء، والعائلة حاضرةٌ في أكثر من منزلٍ، والتمزّقات التي تُهشّم المدينة، تتسلّل بدورها إلى داخل تلك المنازل/العائلات، صانعةً آثاراً تنكشف بأشكالٍ مختلفة.

عنف «النكبة» (1948)، الذي يخترق بلداً وناسه، يُسبّب انفصالاً بين أب (أشرف برهوم) وابنته الوحيدة (كرم طاهر)، في «فرحة» للأردنية دارين ج. سلّام. العائلة غير حاضرةٍ كلّياً، فالجنود الصهاينة يُثيرون اضطراباتٍ تحثّ فلسطينيين كثيرين على حمل السلاح (الأب)، أو الهروب، أو الاختباء ريثما تنتهي تلك الأحداث (الابنة)، التي ستكون تأسيساً دموياً لخرابٍ متواصل. البداية مستلّة من تفاصيل عادية، عن أبٍ يريد تزويج ابنته، الراغبة في إكمال تعليمها في المدينة، والعمّ (علي سليمان) يحاول إقناع شقيقه بتلبية تلك الرغبة. الحرب تُبدّل كلّ شيءٍ، وتصنع من الابنة امرأة أنضج وأجمل وأعمق في مواجهة الموت المحيط بها، بعد أنْ تفصلها عن والدها، الذي لن يعود.

هذا كلّه غير حاضرٍ في عائلتي «بين الأمواج» للمغربي الهادي أولاد مهند، و«أطياف» للتونسي مهدي هميلي. وقائع يومية يعانيها كثيرون، تتحوّل إلى جوهر حكايتين، عن عائلتين تشهدان تحطّماً داخلياً، بعد إصابة الأب بمرضٍ يعطبه فتتعطّل العائلة (بين الأمواج)، وبعد سقوط الأمّ في فخّ ذكورية متسلّطة وجاحدة (أطياف). المرض لعينٌ، يُحوّل رجلاً، مليئاً بضحكٍ وحبٍّ وانشراح، إلى آلة جامدة، تعجز عن التحكّم بالجسد، فتبدأ الروح بالتحلّل (بين الأمواج). حاجة أمٍّ إلى دعم مديرها من أجل ابنها تضعها في دائرة الانحلال الأخلاقي، لاتّهامها بممارسة الدعارة (أطياف). المرض يعرّي أحوالاً، ويكشف ذكرياتٍ، ويروي سِيَراً، ويفشي مخبّأ، ثمّ يحلّ الموت، فتبدو العائلة كمن يبدأ لحظة جديدة، لن تكون مهمّةً معرفة صُورها ومساراتها، بقدر ما تكمن الأهمية في إيحاء إلى نوعٍ من تصالحٍ (بين الأمواج).

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> العائلةُ سببٌ درامي لتفقّد معاناة أناسٍ وجماعاتٍ

عفاف بن محمود (أطياف): تمثيلٌ يرتكز على ملامح ونظرات (الملف الصحافي)

روبرت غرايفز بحسب وليام نونَيْز

شخصيّة مُركّبة وقلبٌ معقّد أنهكته الحرب

عبد الكريم قادري

شارك الشاعر والكاتب البريطاني روبرت غرايفز (1895 . 1985) في خطوط المواجهة الأمامية، في الحرب العالمية الأولى (1914 . 1918). أصيب بشظايا قذيفة، وأعلنت كتيبته عن وفاته. لكنّه عاد إلى الحياة مجدّداً، بعد شفائه من جروحه الخطرة. لم تُغادره مَشاهد الموت والدمار، وأصوات الرصاص والقذائف، ومناظر الدماء، أبداً، بل رسخت في عقله الباطن. استحضرها في واقعه وأحلامه، وأصابته بعِقدٍ نفسية، أثّرت على حياته ومساره. بعدها، بدأ كتابة نصوص شعرية عن الحرب ومآسيها، من منطلق شخصي، واصفاً مواجهته المباشرة للموت، والأهوال التي عاشها وخبرها.

اشتهرت كتابات غرايفز، في الوسط الثقافي، بكونها «أدب الحرب». لكنّه تخلى عن هذا التيار الأدبي، واختبر مغامرات شعرية تجريبية جديدة، أحدث عبرها قطيعةً مع التجارب السابقة، وأسّس بها بُعداً شعرياً جديداً، لفت إليه أنظار مختصّين عديدين.

في «الفائز» (2021)، أعاد الأميركي وليام نونَيْز اكتشاف غرايفز (توم هيوز)، مُقدّماً إياه بطريقة مختلفة، ومختاراً طريقة صعبة ومُعقّدة في تقديمه، بذهابه إلى تراكماته النفسية، وفوضاه الداخلية، وهلاوسه وعِقده، ومُظهراً طقوس الكتابة التي عاشها في مرحلة ما بعد صدمة الحرب. طريقة معالجته الإخراجية يصعب التنبؤ بنتائجها، لأنّها تهتمّ كثيراً بالجانب النفسي، وتُركّز على طقوس كتابته، خاصة أنّ حياة الشاعر بعد الحرب مليئة بالعلاقات غير العادية، التي أصبحت مصدر نميمة يتمّ تداولها في الوسطين الثقافي والأدبي، وبين العامة: علاقته مع زوجته الرسّامة الإنكليزية نانسي نيكلسون (1899 . 1977)، وعلاقته مع عشيقته ومُلهمته الكاتبة والناشطة النسوية الأميركية لورا رايدنغ (1901 . 1991)، التي دعاها إلى منزله، ولم يعتقدا، زوجته نيكلسون (لورا هادِك) وهو، بأنّها ستُلبّيها.

دعوته رايدنغ (ديانا أغرون) هدفت إلى تأطيره شعرياً، وتفجير طاقته الأدبية. لكنّها، بعد اطّلاعها على تجربته الشعرية الأولى، وجدت فيها اختلافاً ورؤى جديدة. لهذا، لبّت الدعوة وسافرت إليه، وأقامت معه في بيته الريفي، وبدأت تعمل على موهبته. وسط كلّ هذا، نشأت بينهما علاقة عاطفية، حاول مقاومتها في البداية، لكنّه فشل، فخضع لها، وأعلم زوجته بالعلاقة، غير أنّها لم تحتج، إذْ رأت تحسّن حالته النفسية، وخروجه من «حبسة الكتابة». بالإضافة إلى أنّ لورا باتت «موديل رسم» لها، كما أقامت معها علاقة عاطفية عابرة.

ابتكر المخرج والسيناريست نونَيْز دراميّة الأحداث من المواقف الحياتية المعقدة التي عاشتها الشخصيات، غير المُخترعة لوجودها في الحياة الثقافية حينها، ولا تزال إلى اليوم تُثير حولها أسئلة واحتمالات عدّة، ولا تزال أعمال هؤلاء، الأدبية والفكرية، حاضرة بقوّة، رغم مرور أكثر من قرن على ظهورها. رتّب نونَيْز هذا كلّه وفقاً للسياق الدرامي للفيلم ولإيقاعه، وجعل الأحداث تلتفّ حول الشاعر، الأكثر تعقيداً وفوضى.

هكذا ظهرت موهبة المخرج، الذي له معرفة واسعة بالمسائل المرتبطة بالموضوع، وأثّثها بمواقف أدبية وفكرية عدّة، مُضيئاً فترة تاريخية مهمّة في المشهدين السياسي والأدبي الإنكليزيين. كما أنّه تناول بعض الشخصيات النقدية المهمّة سريعاً، مع إشارات قوية، لها دلالات عميقة، كتوظيفه شخصية الناقد والكاتب الأميركي البريطاني تي. أس. أليوت (1888 . 1965، كريستن أنْهولت)، الذي استعمل قلمه الحادّ لوأد مشروع التيّار الشعري، الذي رفعته جماعة لورا رايدنغ، مع غرايفز والشاعر الإيرلندي جيوفري فيبس (1900 . 1956، فْرا فِي). وهذا بعد رفضها إقامة علاقة عاطفية معه، فاستخدم اسمه ومكانته الأدبية لمحاربتها.

ديانا اغرون: في «الفائز»، امرأة حداثيّة ذات سحر خاص (Axelle/Bauer-Griffin/FilmMagic)

> إعادةُ اكتشاف روبرت غرايفز وتقديمه بطريقة مختلفة

أفلام جديدة

■ The In Between لمارك كلاين، تمثيل جوي كينغ (الصورة) وكايل آلن: قصّة حبّ تدور بين عاشقةٍ تفقد حبيبها في حادث سير مروّع، لكنّها تعيش لاحقاً حياةً مليئة بأحداثٍ تجعلها تظنّ أنّها (الأحداث) إشاراتٌ من الحبيب المتوفّي، وأنّها (العاشقة) محمّيةٌ بفضله. حبّ وماورائيات ورومانسية مستلّة من عنف موتٍ غير متوقّع، موجودة كلّها في فيلم واحد، يستعيد مفردات هذا النوع من الإنتاج السينمائي (تعرضة «نتفليكس» منذ 8 إبريل/نيسان 2022).

■ Horse Girl لجيف بينا، تمثيل أليسون بْري (الصورة) وجون أورتيز وماثيو غراي غوبلر: سارة شابّة خجولة ومنغلقة على نفسها، تعيش حياة هادئة، وتعمل في محلّ لبيع الأرتيزانا. في أوقات فراغها، تزور قبر والدتها، المنتحرة قبل عام، أو تذهب إلى المزرعة، لزيارة حصانها القديم، ويل، الذي تعرفه منذ طفولتها. هذان النوعان من الزيارات سيصنعان في حياتها مسائل كثيرة، وستواجه فيها تحدّيات، وتُطرح عليها تساؤلات كثيرة.

■ Choose Or Die لتوبي ميكِنْز، تمثيل إيولا إيفنز (الصورة) وآزا باترفيلد وروبرت أنغلاند وراين غايج: لأنّها مُفلسة، وباتت بأمسّ الحاجة إلى مال لإنقاذ نفسها من مخاطر الديون المتراكمة، تشارك طالبة جامعية في مسابقة للحصول على مبلغ من المال، غير مُعلَن عنه، يُساوي 100 ألف دولار أميركي. المسابقة؟ لعبة كمبيوتر غامضة، من ثمانينيات القرن الـ20. بعد لحظات غير متوقّعة ومخيفة، تكتشف الطالبة أنّها لم تعد تلعب من أجل المال فقط، بل من أجل حياتها الخاصّة، ما يُزيد من وتيرة التشويق والانفعال.

■ «أبو صدّام» للمصرية نادين خان (الصورة): سائق شاحنة على الطريق الدولية في مصر، برفقة مساعدٍ شاب له تكون رحلته هذه الأولى في مهنتهِ الجديدة، يواجه تحدّيات جمّة في علاقته بذاته وبالمحيطين به، خاصة زوجته وعائلتها، وتاريخه وآلامه، ومغامراته التي يروي بعضها بنبرة توحي بالتباس الحدّ الفاصل فيها بين حقيقتها ومتخيّله.

■ The Adam Project لشوان ليفي، تمثيل جينيفر غارنر (الصورة) وراين رينولدز ومارك روفالو: فيلمٌ مستقبلي، تدور أحداثه عام 2050، حين بات السفر عبر الزمن مستخدماً بوفرة. حكايات ومطاردات وتشويق بين أزمنةٍ وشخصيات وعلاقاتٍ، ونزاعات وتفاصيل مختلفة.